تقنيات الفضاء المسرحى
عند ميخائيل رومان

إعـداد
على أحمد مصطفى مصطفى

شمل الفضاء المسرحى الزمان والمكان اللذين يتم فيهما الحدث ، والمسرح كما هو معروف للجميع عرض حقيقى بحضور جمهور فى مكان وزمان حقيقيين ومعلومين ، والجمهور جالس فى مكان ثابت لا يتغير يشاهد الحدث عن قرب ، وهذا الحدث المشاهد يحتوى على فضاء مسرحى هو المكان والزمان . وكانت من أهم قوانين كتابة المسرحية ،أن يلتزم الكاتب بالوحدات الثلاثة "وحدة الحدث ووحدة الزمان ووحدة المكان " ، وهى أصول وضعها أرسطو فى كتاب "الشعر" ، ورغم ذلك اختلف النقاد فى تحديد العلاقة بين الأصول الثلاثة فلم يستطيعوا مثلا"أن يقرروا فيما إذا كان معنى وحدة الزمان أن يحصر وقت التمثيل بعدد محدود من الساعات ، وفيما إذا كانت وحدة المكان تعنى بقعة واحدة بحجم المسرح أو شارعا أو مدينة كاملة "([1]). وأحداث المسرحية محاطة بسياج المكان كما هى محاطة بسياج الزمان ، وغالبا ما يتحدد المكان فى الديكور والنص المرافق للنص المسرحى ، كما يتحدد إطار الزمان أيضا ؛ لأنهما ضروريان عند بناء الحدث ، وقد يتغير المكان من فصل لفصل أو من مشهد لآخر بناء على طبيعة الصراع الذى يشكل الأزمة . كما يتغير الزمان ليناهض الحدث ويقوم بتشكيله ؛ و بالتالى فهو فى سياق متغير دائما ، يتنوع عند مشاهدة العمل المسرحى ، فالكاتب يهتم بوصف المكان وملامحه قبل بداية العرض ؛ لأن المسرحية " ليست فى الحقيقة قطعة من الأدب للقراءة ، وإنما المسرحية الحقيقية ذات خصائص ثلاثة : فهى أدب يمشى ويتكلم أمام أبصارنا"([2])، فالمشى والكلام والمشاهدة تشمل الزمان والمكان عنصرىّ الحدث . ولعل ما يميز الفضاء المسرحى أنه يسير وفق خطىً منظمة يحددها الكاتب لتسير فيها الأحداث سيرا متتابعا بعيدة عن العشوائية ، وفق " فضاء مبنى وليس اعتباطيا يتم تشكيله كطاقة معبرة وحامل للمعانى والدلالات ، وينطبق هذا الأمر على جميع المسرحيات حتى على تلك التى تبدو عشوائية أو طبيعية بدرجة تزيد عن المطلوب وهذا هو الجانب الرمزى فى

[1]- د. صلاح فضل : عين النقد على الرواية الجديدة ، القاهرة، دار قباء ١٩٩٨، ص ٢٧.
[2]- باربارا كوبر : الفضاء المسرحى لجيمس ميردوند ، ترجمة مركز اللغات والترجمة ، أكاديمية الفنون ، مراجعة الدكتور:محمد عنانى ، وزارة الثقافة ، مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى ، ١٩٨٧، ص ١١٠.

الفضاء المسرحى الذى يجعله مختلفا فى نوعيته عن لفضاء العادى الموجود فى الحياة اليومية "([1]) . وقد اهتم ميخائيل رومان بالفضاء المسرحى وتقنياته ، لأنه لايمكن أن توجد شخصيات وأحداث تلعب دورها دون وجود فضاء مكانى ، ولذلك استخدم التقنيات الحديثة فى العرض المسرحى عند وصف المكان ، وطبيعته التى ينبغى أن يكون عليها فهو عنصر بنائى ثابت ، لابد أن يتناسب فى تقنياته مع الحدث، وهذا ما أتناوله فى الصفحات القادمة . أولا : الفضاء المسرحى ١: بناء المكان فى الفضاء المسرحى

يراعى الكاتب المسرحى حقيقة شديدة الأهمية والوضوح ، هى أن نصه اللغوى المصنوع على الورق ، أو المطبوع بالأحبار ، أو الممثل على خشبة المسرح سيتحول إلى كيان مجسد بالفعل فى حيز مكانى محدود ؛ تخدمه عوامل تشكيلية تتمثل فى توزيع مفردات المكان أو الشخصيات فى الفضاء *المسرحى* ؛ بما فيه من مساحات وتكوينات وخلفيات تبرزها الإضاءة ، فالشخصيات والديكور والإضاءة هى الوحدات التوزيعية التى تتقاطع فوق خشبة المسرح – المكان– لتجسد عالما يمثل أو يوازى أو يشير بصورة أو بأخرى إلى العالم الذى نراه فى واقعنا ، أو نتخيل مرجعيته فى التاريخ . فالأسلوب الممتع فى عرض المكان فى النص يعتنى به الكاتب ؛ تمهيدا لتحويله إلى خشبة المسرح لا ليحقق وظيفة جمالية فقط ؛ وإنما يدل على الفكرة التى يحاول الكاتب توضيحها للمتلقى فى زمن المسرحية . وهناك خلاف بين الفضاء المكانى فى الرواية والمسرحية ، فالرواية تتيح للمؤلف حرية الحركة والتخيل والتجسيد والتغيير دون التحول فى المكان ؛ لأن كاتب الرواية يعتمد على خيال القارىء ، أما فى المسرحية فيعتمد على زمن الأداء التمثيلى . قد كان المسرح التقليدى يهتم بتخصيص المكان للفصول المسرحية وغالبا ما يخصص لها القصور والساحات والأماكن المفتوحة ، وتغيّر هذا فى المسرح الحديث فأصبح المكان غرفة أو صالة داخل البيت ، يتضح من خلالها الحالة الاقتصادية والاجتماعية للشخصيات ، وترى أماكن الطبقة

[1]- د. امينة رشيد : السيميوطيقا ، مفاهيم وأبعاد ، مجلة فصول مناهج النقد الأدبى المعاصر ، م (١) ع ٣ أبريل ١٩٨١ ، ص ٤٥.

الارستقراطية تختلف عن أماكن الطبقتين المتوسطة والفقيرة . و لايمكن الفصل بين الزمان والمكان عندما يصوغ الكاتب الحدث ، وحين يعالج قضايا واقعه السياسى أو الاجتماعى ، ويلجأ إلى استلهام المرجعية التاريخية السابقة للأمة ، ليستلهم ما فيها من مواقف مشابهة كان للأمة دور فعال و إيجابى فيها على خلاف الوضع الراهن ؛ لذلك فالسياق الذى تم استلهامه يجمع بين بعدىّ الفضاء المسرحى بما فيهما من مكان وزمان ؛ لأن المكان فى التاريخ وثيق الصلة بالزمن الذى تجسد فيه الحدث ، ورغم ذلك "يختلف تجسيد المكان عن تجسيد الزمن حيث إن المكان يمثل الخلفية التى تقع فيها الأحداث ، أما الزمن فيتمثل فى هذه الأحداث نفسها وتطورها ، وإذا كان الزمن يمثل الخط الذى تسير فيه الأحداث ؛ فإن المكان يظهر فى هذا الخط ويحتويه ، فالمكان هو الإطار الذى تقع فيه الأحداث ... والزمن يرتبط بالإدراك النفسى أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسى . وقد يسقط الإدراك النفسى على الأشياء المحسوسة لتوضيحها ...والمكان ليس حقيقة مجردة وإنما هو يظهر من خلال الأشياء التى تشغل الفراغ أو الحيز "([1]) . وإذا كان العرض المسرحى يبرز فيه وصف المكان وتقنياته ؛ حتى يتناسب مع الحالة الاجتماعية ، وحتى يقيم المشاهد علاقة بين المنظر المسرحى والشخصيات من خلال تقنيات المكان التى نراها فى الآتى :

ب – وصف المكان

يشغل وصف المنظر المسرحى فى "الدخان" عند رومان حيزا غير قليل فى بداية لمسرحية ، يبدأ فى وصف البيت وما فيه من أثاث ، والطراز المعمارى الذى كان سائدا فى هذا الوقت ، حين يقول:" تدور أحداث المسرحية فى شقة من بيت قديم فى حى شعبى ...غرفة نوم كبيرة باب فى الخلف وباب إلى اليمين يؤدى إلى غرفة جلوس ونافذة فى اليسار تطل على شارع ضيق يمكن أن نسمع منه أصوات الجيران والباعة"([2])

[1]- د. سيزا قاسم : بناء الرواية دراسة مقارنة فى ثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٤ ، ص ١٠٦.
[2]- الدخان ص ٩ .

إن وصف المكان يدل على الطبقة الاجتماعية التى تنتمى إليها الشخصيات ودليل ذلك أصوات الباعة خارج البيت والحى شعبى الذى يكثر فيه المارة ، فيُسمع العديد من أصوات الناس الذين هم فى خارج المنزل ؛ لضيق الممر بين البيوت ، وتلاحمها حتى تسمع أصوات الجيران داخل هذا المنزل . وهكذا اهتم رومان بوصف المكان ودلالته الطبقية حين وصف البيت والشارع ، وما فيه من دلالات طبقية ، كما فى الوصف التالى :

" وفى الغرفة فراش كبير فى زاويتها اليسرى الخلفية وبجواره كومودينو عليه صحف ومجلات فإذا رفعت ظهرت الطفاية تراها تزدحم بأعقاب السجاير ، ويوجد بالغرفة دولاب قديم غامق اللون ومكتب (منضدة ذات أربعة أرجل) عليها صفوف كثيرة مضطربة من الكتب بعضها أوربى ... وبالغرفة كليم قديم ولمبة مكتب مركونة فوق أكوام الكتب لأنها لا تستعمل . كما توجد ستارة تغطى النافذة وجو الغرفة كله وأثاثها يعطى طابع القدم والإهمال و الوخامة ؛ ذلك أن الأثاث كله من الطراز الذى كان سائدا فى بيوت صغار الموظفين منذ عشرين أو ثلاثين عاما ، توجد منضدة فى وسط الغرفة وفى مكان واضح تماما توجد آلة كاتبة قديمة جدا سوداء وقذرة ، ... وللغرفة نافذة خلفية عليها ستارة قديمة وعند فتحها يرى برج التليفزيون فوق المقطم ، يوجد بالغرفة راديو من طراز قديم جدا . يوجد لهذه الغرفة إلى اليمين باب يفتح على فسحة السلم ، والسلم يظهر منه جزء محدود إلى أعلى وإلى أسفل الشقة . ويوجد نور أوتوماتيكى ينير السلم .الطلاء فى الشقة والسلم من النوع القاتم اللون ، فالبيت كان مطليا بالزيت ثم
تشقق الطلاء وتراكمت على أجزاء منه الأتربة "[١]".

يتصف مظهر المكان بالبساطة ، ويتخذه الكاتب وسيلة لتحقيق الهدف من البناء الدرامي فى المسرحية ، وهو وصف حال الطبقة الوسطى ، ووجود المكان بهذا الوصف المتواضع يعبر عن الوجود الحقيقى لأبناء هذه الطبقة ، وهناك ثمة "تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تقيم

[١]- الدخان : ص ٩ ، ١٠ .

معه ، والفضاء يكشف لنا عن الحياة اللاشعورية التى تعيشها الشخصية ، ولا شىء فى البيت لا دلالة له بالإنسان الذى يعيش فيه"[١]".

ويتضح من الوصف السابق للمكان عند رومان أنه يشكل عنصرا فنيا فى البناء الدرامى، ولم تتوقف مهمته على أنه خلفية للأحداث ، لكنه جعله عنصرا قائما بذاته فى البناء الدرامى ، ويحاول رومان أن يجعل المكان على خشبة المسرح مطابقا للمكان الطبيعى ، وهو أقرب للواقع من الخيال ، فيشكل عالما حقيقيا ملموسا يعبر عن طبقة اجتماعية متوسطة الحال ، ويهتم الوصف بتجسيد مكان العرض المسرحى ، ويشير إلى ارتباط المكان بالنسيج العام للمسرحية ، وتأتى علامات المكان التى يمكن تفسيرها كمؤشرات للحدث المسرحى ، فيقوم بناء الديكور على أشياء واقعية تملأ المكان ، وهو وصف يكاد يكون طويلا ، وتغلب صيغة التصوير الحسى والسمعى والبصرى على المكان ، وهو مكان ثابت فى العرض المسرحى لأحداث المسرحية ، وإذا كان السرد الروائى يعتمد على سرد أحداث ماضية ؛ فإن السرد الدرامى يعتمد على سرد جزء من الأحداث قد وقعت فى الماضى ، والمسرحية لا تبدأ فى الغالب من البداية ، ووصف المكان يشير إلى ذلك ، وسرد الأحداث الماضية على لسان الشخصيات يربط بين الحدث فى الماضى والحاضر. فالمكان فى المسرح هو "عامل الاتصال المباشر بين المتفرج والعالم الدرامى ،

ومن ثم . فإن أين ؟ تستقطب متى ؟.. هذا يعنى أن المحسوس فى المسرح ينطوى على المجرد دون أن ينطوى المجرد على المحسوس ... والمكان هو عالم الرؤيا القائم ، وهو قائم عبر الزوايا والأركان والاتجاهات .. وهو المساحة الخارجية التى تستفيد من كل المساحات الخارجية فى العالم بنسب متعادلة. وللمكان أيضا علاقة بالأمكنة الأخرى التى تليه أو تسبقه . وعلاقة بالأمكنة الغائبة التى يستثيرها حضوره . والحدث الذى يحدث فى المكان حاصل تفاعل بعض العلاقات بدوره "[٢]".ولاشك أن المكان يرمز إلى الطبقة الاجتماعية الفقيرة وحالة البؤس الإنسانى الذى تعيشه

[١]- حسن بحراوى : بنية الشكل الروائى ، ص ٤٤ .
[٢]- د. وليد منير : جدلية اللغة والحدث فى الدراما الشعرية الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ص ١٦٩ ، ١٧٠.

هذه الطبقة ، وبهذا الوصف للمكان يشير رومان إلى الصراع الطبقى ومدى الظلم الذى تعانى منه الطبقات الفقيرة ، وقد أفاض رومان فى وصف المكان ، وهو عنده حى شعبى سكانه ينتمون إلى الطبقة الدنيا من المجتمع ، والمكان مكتظ بالسكان يعلوهم البؤس الذى لا أمل فى التخلص منه كما يرى عند وصف المكان، وكأنه يحترق بنار البؤس الإنسانى التى لا تخمد . وهكذا فإن وصف المكان عند رومان يكشف لنا الملامح الاجتماعية للشخصيات ؛ و بالتالى يتيسر فهمها ويعطى العمل المسرحى قيمة فنية حين يطلعنا على طبيعة الشخصيات التى تقطن فى هذا المكان فى مسرحيتى "الدخان"و"الزجاج" يصف النص المرافق المكان الذى يراه يعبر عن الطبقة الوسطى التى ينتمى إليها حمدى ، وأثاث البيت يدل على ذلك كما أن كثرة أعقاب السجائر داخل الغرفة تدل على حالة غير عادية من التدخين ، ومكونات الحجرة كلها قديمة وبالية ، وهذا الوصف يفسح المجال لنمو الصراع الدرامى ، فيعالج الصراع الطبقى ويكشف حالة الطبقة المتوسطة ، والطبقة الارستقراطية فى الزجاج ، ويتمرد حمدى على وضع هذه الطبقة ، وهكذا فإن وصف المكان عند رومان يعبر عن التباين الطبقى والمعاناة التى تعيشها الطبقة المتوسطة والفقيرة فى المجتمع . وفى "الزجاج" نجد وصف المكان يكشف التباين الطبقى والفقر الذى يلحق بالطبقة المتوسطة ، ويتضح ذلك من الأثاث المتواضع الموجود فى المكان كما يصف رومان :

" صالة بيت من الطبقة الوسطى ولكن قطع الأثاث القليلة المتناثرة توحى بوجود تطلعات طبقية لدى أصحاب هذا البيت . المكان خال فيما عدا مكتب هو منضدة صغيرة ذات أربعة أرجل عارية من كل شىء وقد وضع فوقها المقعد الذى ينبغى أن يكون أمامه منضدتان أخريتان فى مثل مستواها وقد غطيت كل منهما بمفرش أنيق جدا – على الأولى زهرية ضخمة من النوع الرخيص وعلى الثانية تمثال المفكر ربما نجد سجادة صغيرة معلقة على الجدار "([1]) وإذا كان المكان به تطلعات طبقية فإن وصف الشخصيات يعبر عن هذه التطلعات عندما يرفض بعض الأشخاص الواقع الاجتماعى و الطبقى ، وتتطلع إلى الطبقة الأعلى التى يصفها رومان على لسان حمدى

[1]- الزجاج : ١٤١.

فى الزجاج ويقارن بينها وبين الشخصية التى تعتز بالانتماء الطبقى مثل حمدى حين يرفض كل ما هو دخيل ومستورد على النقيض من زوجته فريدة التى تعتز بكل ما هو دخيل ومستورد ، ويسخر حمدى من هذه الطبقة عندما تطلب منه زوجته أن يساعدها فى إعداد حفل العشاء لنساء الطبقة الارستقراطية:

حمدى : ... خمسة ستة من نسوان الانكشارية اتعشوا وبطونهم انتفخت .

واحدة منهم جات مبسوطة خالص وسرقت شوية فى شنطتها ولد

حمدى كويس كتير ولد حمدى يلزم واحد بقشيش ...

ولد حمدى بيشتغل إيه لا لا لا دى لازم يمسك مدير ...

ولد حمدى بطل جبار ([1]).

والحوار وإن كان يحمل لهجة السخرية إلا أنه يتم فى لغة شاعرية مكثفة تحاول أن تجمع حوار هؤلاء النسوة ما بين الإعجاب بما فعله حمدى وما بين الارتقاء بمستواه الطبقى و المهنى ، كما يعبر عن طمع هؤلاء النسوة من هذه الطبقة ، وهذا وصف للشخصيات التى لها تطلعات طبقية ، وهناك وصف لشخصية حمدى عن طريق الرمز فيصف نفسه بالجبن لأنه كما يرى لا يقوى على مواجهة الظلم مثل الكثيرين من الناس، لكنه يزيد عليهم بأنه مثقف يسعى للوصول إلى الحقيقة التى يجهلها غيره :

حمدى : كلب المقاول واقف جنب الأسمنت والحديد ، وعمال التراحيل

والمقاول فى العربية فجأة الكلب طلع جرى . وكل ميت متر

يقف ويدور وشه و يبص وراه ..الكلب خايف من إيه ؟

جرى جرى جرى وسط المزارع وسط الغيطان

يخوض فى الميه فى الطين ... الكلب طلع قزح وكل ما

تفوت عربية يعوى عليها ويجرى وراها ما يحصلهاش ..يقف

[1]- السابق : ١٦٢،١٦١.

تمر عربية تانية يعمل اللى عمله ويا الأولانية وفجأة اكتشفت أن
أنا الكلب . أنا الكلب المقاول .. أنا باعمل إيه . باجرى ورا إيه .
إيه اللى عاوزه .. إيه المطلوب منى .([1])

و بالتالى فإن رومان حين يبنى عالمه الدرامى فإنه يضع إطار الشخصيات مطابقا لإطار المكان الذى تمثل فيه هذه الشخصيات ، ومن ثم يصبح المكان تجسيدا إشاريا لعالم الواقع الذى تطوف فيه هذه الشخصيات ، كما يقول " أوجدن وريتشارد" فى كتابهما "معنى المعنى" بأن هناك علاقة بين العالم الدرامى التخيلى أو الرمزى

وعالم الحقيقة : المدلول (عالم المسرحية) المشار إليه الدال (الوصف – المكان)

فإذا اعتبرنا أن الدال وهو وصف المكان أو الكلمات التى تصف المكان والمدلول وهو علامة الرمز والاستنباط الذى يثار فى ذهن القارىء أو المتلقى للنص المسرحى فالمشار إليه قد يكون العالم الحقيقى ، وعلى هذا نرى اختلاف قضايا الصراع الدرامى واختلاف الحقيقة والمجاز أو الرمز عن طريق هذا الإطار فإذا كان المشار إليه هو عالم الحقيقة الذى يمكننا إدراكه فإنه يخضع – أى العمل الدرامى– لقوانين عالم الحقيقة دون الاحتياج إلى الرمز أو الإشارة إلى شىء آخر ، وإذا كان المشار إليه تخيليا كانت مجازية ، ونجد هذا من خلال استدعاء أو استرجاع حلم الماضى القديم عند حمدى فى "الدخان" ، وقد يكون المكان وسيلة للهروب من الواقع كما نجد عند حمدى "المزاد" ولعل هذه التصرفات تدل على عدم تأقلم هذه الشخصيات فى المكان الجديد ، ورفضها للواقع الطبقى أو الرجوع بالذاكرة إلى الماضى الجميل ، ولذلك يكون المكان عند رومان رمزا للصراع الطبقى ، فالبيت يعتبر صورة مصغرة من المجتمع ، والانهيار النفسى الذى يلحق بأفراد الأسرة ينعكس سلبيا على المجتمع ، وربما يصدق من يقول بأن البيت "كوننا الأول كون حقيقى بكل ما للكلمة من معنى "([2]).

[1]- الدخان : ١٦٧.
[2]- جاستون باشلار : جماليات المكان ص ٣٦.

وهكذا عندما يصف الكاتب المكان فإنه يحدد الإطار النفسى و الاجتماعى للشخصية ، لأنها هى التى تتفاعل مع هذا المكان فتتأثر به وتؤثر فيه إيجابا وسلبا ، فمن المؤكد أن الكاتب المسرحى عندما يصف المكان فيجب أن يصف "التربة الخصبة المشتركة التى تتجمع فيها العوامل الزمنية أو المحلية أو الاجتماعية ...حتى نصل إلى نقطة التأثيرات المشتركة التى عملت عملها فيها "([1]) .

وقد يجمع المكان الشخصيات ورغم ذلك يكشف التباين فى طبيعة الأشخاص ؛ ليصبح علامة بارزة تحدد طبيعة الشخصيات ورفضها أو قبولها للواقع الذى تعيشه فى المكان ، وقد يكون المكان مزدحما تغلب فيه الأصوات الخارجية فتدل على شعبيته ، وقد تنبعث الضوضاء من الداخل فتكون أكثر إزعاجا للأشخاص ، وخاصة عندما

يتباينون فى اتجاهاتهم وثقافتهم ، فيصبح كل طرف يشغله ذاته ، فلا يسمع ولا يرى ما يحدث للآخر يمثل حمدى وفريدة فى "الزجاج" عندما ينكر ما تحدثه من ضوضاء، فيحدث له تلوث سمعى و بصرى ، فهو قد ألغى حا ستى السمع والبصر ، فلا يطيق المكان وهاتين الحاستين جعلاه فقدا المكان " فالسمع يستخدم الزمان وليس الفضاء عاملا رئيسيا ، أما البصر فيستخدم الفضاء أكثر مما يستخدم الزمان ، والأولى تميل إلى أن تكون رمزية بطبيعتها بينما الإشارات البصرية المكانية تميل إلى أن تكون يقونية أو تمثالية فى طبيعتها"([2]) .

ويستخدم حمدى فى حواره مع فريدة أكثر من مصدر صوتى يثير الإزعاج داخل البيت ، و بالتالى يصبح المكان وسيلة للطرد دون الجذب كما تصبح الآلة الحديثة عند رومان وسيلة للضغط العصبى حين يقول حمدى لفريدة :

حمدى : دورى الراديو والتلفزيون ..حطى ودنك فى الترانزستور ،

وعينيك فى التلفزيون وأوعى فى نفس الوقت تبطلى كلام .

[1]- رينيه ويليك وأوستن وارين : نظرية الأدب ١٣٢.
[2]- ترنس هوكز : البنيوية وعلم الإشارة ترجمة مجيد الماشطة دار توبقال للنشر والتوزيع ، ص٢٩.

كل المنافذ مسدودة مشمعة بالشمع الأحمر لا يمكن نور الله يدخلها .

ضمان أكيد للانبساط السمعى !

هاتى كمان مكنة الخياطة ودوريها .. صلحى قميصك ولا بنطلون

ولا على الفاضى دوريها ... حتى يتوقف كل عصب عاقل وبعد ساعة تكونى جثة.([1])

جـ – البيئة الخارجية

تعتبر البيئة الخارجية وما تحتويه من شوارع ، وما فيها من أصوات باعة وجائلين من مظاهر وصف المكان ، وقد تصدر أصوات عربات أو موسيقى تضفى على المكان رونقا وجمالا ، ولا ننسى الطبيعة الفصلية الجميلة وما تتنفسه من عطر يفوح بالمكان من خلال النوافذ ، ومثال ذلك الوصف فى" الدخان" و "الزجاج" .

وهكذا فإن روما ن يجعل للبيئة الخارجية مشاركة فعالة فى الدراما المسرحية ، حين تختلط الأصوات الخارجية أثناء الحوار، ويظهر أثرها داخل مكان العرض المسرحى ولعل رومان يقصد من ذلك وصف طبائع الناس الاجتماعية ، وطابع الحياة العام فى المكان من خلال وصف عادات الناس وسلوكهم وثقافتهم ووعيهم وطبقتهم ، ويظهر كل ذلك خلال العرض المسرحى ؛ ليصبح المكان "مسألة من المسائل الأساسية فهو الحد الفاصل بين ما يجرى بالداخل وما يجرى فى الخارج وهو الحد الفاصل بين عالمين يتم تحديدهما عن طريق البعد المساحى والبعد الفكرى معا"([2]). وروما ن يصف المكان بشقيه الخارجى والداخلى فى وصف لايخلو من التفاصيل ؛ للاستفادة من تقنيته فى العرض ، فإذا ما وصف المكتب فإنه يصف ما عليه من أشياء يرى ظهورها فى العرض ، وإذا ما وصف الحجرة فإنه يصف ما فيها من أثاث وفراش .ولعل هذا الوصف الواقعى للأشياء من أجل التركيز عليها لتكون محط اهتمام المشاهد ؛ لتكوين انطباعات عن المكان والأشخاص قد يصف هيئاتها ليكتمل هذا الوصف .وقد يصف أشياء بصورة رمزية

[1]- الزجاج : ١٤٩.

[2]- حنا سولينكسوف : المرأة والفضاء المسرحى ، ص ٣٢.

لتصل بين الداخل والخارج أى عالم الخارج وعالم الداخل مثل النافذة فى "الدخان" تمثل إطلالة على العالم الخارجى وهى المصدر الوحيد للهواء والضوء فى المكان مما يعطينا انطباعا بأن سكان هذا المكان من الطبقة الفقيرة، ولها دور فى التواصل الاجتماعى حين نسمع أصوات الباعة والجيران فى داخل البيت ، ويَسمع مَن بالخارج أصوات من هو داخل البيت . وفى الدخان تحاول الأم أن تقنع موظف الكهرباء ألا يقطع عنهم التيار ، وتطلب منه خفض الصوت حتى لا يسمع الجيران ، لكن الموظف قد ضاق ذرعا بتأجيل السداد فيقول فى حدة انفعالية :

موظف: هى شركة أبوى أعمل ثواب إن ما كنتوش قادرين
على السكن شوفوا لكم حتة على قدكم.

الأم : يا بنى وطى صوتك الجيران حوالينا .

موظف : جيران إيه و بتاع إيه قولى لابنك الكبير ما يوصلش النور بعد ما
أنزل ، دى جريمة سرقة فاهمة وأنا إقدر أوديه فى داهية .
(وحمدى ينظر من النافذة ليودع حسنية زوجته) .

حسنية : ...كده بسرعة هاكون هنا بعد ربع ساعة بالضبط مرسى يا حمدى .

حمدى: مع السلامة (صورة غلق الباب يعود إلى الحجرة يحمل لفافاته ويقف

ثم ينظر من النافذة ثم يندفع من الغرفة بسرعة ويترك النور مضاء .([1])

وإذا كانت إضاءة الكهرباء سوف تنقطع عن البيت لعجز الأسرة عن السداد ؛ فإن الإضاءة الداخلة عبر النافذة لا تنقطع ، ولذا فإن حمدى يقف فى النافذة أثناء الحوار بين الأم والموظف ، وعندما يعود حمدى من المقطم بعد تعذيبه على يد المعلم رمضان فيقف أمام النافذة ويتساءل عن النور الذى ينطفىء ثم يُضاء :

[1]- الدخان : ١٠٨.

حمدى : التلفزيون ... برج التلفزيون اللى فوق المقطم بيطفى وينور ..

يطفى وينور .لازم مقعدين واحد تحته يطفيه وينوره بس ،

وما بيشفش حاحة من اللى بتحصل فى المقطم .وبيدوله كام ؟

على الأقل ألف جنيه فى الشهر ... أحسن لو نسى يطفى ويولع

النور الأحمرهنعرف منين .([1])

ويتعجب حمدى حين يحرم هو من النور وهناك من يأخذ على الأقل ألف جنيه لمجرد الضغط على زر النور الذى لا طائل منه ، وهو حاصل على ليسانس الفلسفة ويتقاضى خمسة عشر جنيها ، ويعرض المكان أزمة المجتمع حين يضع التليفزيون الجهاز الإعلامى فى المقطم بجانب وكر المخدرات ، ومكان تعذيب حمدى على يد رمضان تاجر المخدرات ، فالمكان يجمع بين الفعل الحسن والردىء .

وهنا يصبح المكان "هو الإطار الذى يتحدد من خلاله وجود الفعل واتجاهه بين فاعلين مختلطين يكشفون عن طبيعة عالمهم بالمكان ، وهناك عنصرا مهما من العناصر التى تتخلل المظهر المعنوى للمكان وتلعب دورا فى تأكيد الدلالة ، هو ارتباط المكان بماهية الفعل وارتباط الفعل بماهية الرغبة ... فنحن أيضا نعرف المكان بالمكان المختلف والماضى الحاضر وفقا لهذا يثير من خلال معطياته نظيره الغائر ، ويشير إليه ومما يجعلنا نتعرف بطريقة أعمق وأشد نفاذا على حضور الوجود وأن نربط بين الحضور والغياب فى صورهما المتعددة"([2]) .

ولعل هذا ما جعل حمدى فى "الدخان" يجمع الحضور والغياب فى المكان ذاته بين سكان المقطم ، ومن يعملون خارج المقطم ، وكلما ظهر الوهج الأحمر عند إضاءة المصابيح الصغيرة فوق الجبل يحاول حمدى إجراء مقارنة بينه وبين العمال الكادحين ويتم هذا التفكير وهو واقف أمام النافذة ،

[1]- وليد منير : جدلية اللغة والحدث ، ص ١٧٣.

[2]- د. حسن بحراوى : بنية الشكل الروائى : الفضاء – الزمن- الشخصية ، المركز الثقافى العربى – ط١ ١٩٩٠ ، ص ٣٢.

"وتأسيسا على ذلك يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التى تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الذى ستجرى فيه الأحداث ، فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التى نظمت بها العناصر الأخرى فى النص المسرحى لذلك فهو يؤثر فيها ويقوى من نفوذها كما يعبر عن مقاصد المؤلف ".([1])

وفى "الزجاج" يصف رومان المكان بدون أى أبواب أو نوافذ فى كل مشاهد المسرحية ، ربما يرجع ذلك إلى طبيعة الأحداث ورغبته فى كسر وتحطيم الفتارين التى يراها رمزا للزيف .

ويحاول رومان أن يوحد المكان فى المشهد الثانى فيكون مكانا عاما بعد أن كان المشهد الأول فى المنزل ، ويكثر حمدى من ذكر الأماكن والشخصيات التاريخية فى حواره مع الجمهور رغبة منه فى تغيير الواقع والتصدى للفساد حتى يصبح المكان "رغم ثباته الخارجى يتغير... بسبب مرور الوقت وبسبب خبرات المعاناة والألم فعندما يختلف الزمن أو يضطرب ويضيق ويحاصر الوعى ويخنقه يلجأ الإنسان إلى الخيال لإيقاف اضطراب الزمن ويتحرك فى حدود المكان ويظهر الوهم ليحاول أن يضيف للمكان الموجود الضيق أماكن جديدة مليئة بالأمثلة ولكنها أمثلة دائما ما تعود بنا إلى الواقع بكل ما يشمل عليه هذا الواقع من جغرافيا ما مر عليه من تاريخ"([2]) . فحمدى ضاق بمكان لأنه لم يعد مناسبا لتقديم شكواه ، كما ضاق بالشخصية التى تشاركه فى هذا البيت وهى زوجته فريدا ، فذهب إلى

العرضحالجية ليكتب شكواه ويشرك الجمهور معه فى هذه الشكوى .

د- البيئة الداخلية (وصف المبنى)

لم يكتف رومان فى وصف المنزل من الداخل والخارج فقط ، فيصف المبنى كوصف عام ليكتمل إطار المكان ، ويجعل رومان المبنى فى الزجاج عبارة عن"درابزين حديد مثبت فوق سور حديدى ومن وراء ذلك مبنى عتيق من الطراز الذى كان سائدا فى الثلاثينات ... توجد فاترينة سجائر

[1]- د. وليد منير : جدلية اللغة والحدث ، ص١٧٣.

[2]- - د. شاكر عبد الحميد : جغرافيا الوهم وتاريخ المكان ، قراءة فى رواية هاتف المغيث لجمال الغيطانى ، مجلة نزوى ع ٢ مارس عمان ١٩٩٥ ، ص ٧١.

صغيرة جدا مثبتة فى السور الحديدى – العرضحالجية– حصير من النوع اللامع الملون الذى يباع فى شوارع القاهرة الآن ، مكافىء السجاد المعلقة فى بيت حمدى([١]) .

وهذا المبنى يشكل الطبقة البرجوازية ، وقد وصف رومان المبنى وجمع بين الزمان والمكان فى الوصف فهو من طراز حقبة الثلاثينيات وهى فترة التباين الطبقى فى المجتمع المصرى آنذاك ، فكانت هذه الطبقة تعانى من الفقر الشديد ، لذا حدد مكان وتاريخ الحدث وإن كانت مصر عانت من ظلم المستعمر، ولعل "وقوع الأحداث بين مبنيين دالين على تاريخ الطبقة الوسطى هو مبنى من طراز الثلاثينيات وموقعه عمق المسرح والثانى هو الأوبرا وموقعه صالة المتفرج هو وسيلة المنظر لإنتاج الرؤية التى تتبناها المسرحية وهى أسباب الهزيمة بانفصال مصر عبر تاريخها وجغرافيتها وثقافتها حين طمحت مصر لأن تكون قطعة من أوربا "([٢]).

وهكذا يكون المكان حاملا لمعنى الصراع الطبقى بين الطبقة الفقيرة والطبقة التى تسعى للبذخ والثراء ، وهو يمثل محورا هاما فى المسرحية ، وقد يرمز إلى رغبة الكاتب فى الثورة على الواقع وكل مظاهر الحياة الاجتماعية ، ووقوف الطبقة البرجوازية فى وجه الطبقة الارستقراطية التى تتمتع بالحياة الرغيدة . هنا يمكن القول بأن واقع المكان فى المنظر المسرحى يعبر عن القضايا الاجتماعية ، ونقطة الانطلاق للتعبير عن الحرية التى سلبت فى الماضى "وهكذا فإن كُتَّاب المسرح فى فترة الستينيات ، ومنهم ميخائيل رومان ...قد استخدموا المسرح للتعبير عن آرائهم فى القضايا الاجتماعية ، وانتقاداتهم السياسية ، والمطالبة الآمنة بالإصلاح ، مستترين حيانا خلف ذرائع الإبعاد الزمانى والمكانى ، وسرعان ما توالت موجة الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية فى المسرح المصرى."[٣]" وكان الفضاء المسرحى وما يشتمل عليه من مكان مأزوم أو معزول ؛ أحد تقنيات الوصف التعبيرى والفوتوغرافى* و يتضح أن المكان صورة للإدراك ، فالأحداث على المسرح

[١]- الزجاج : ١٧٣.
[٢]-حازم شحاتة : الفعل المسرحى ص ١٢ .
[٣]- د. سيد خاطر : تاريخ مصر فى الإبداع المسرحى ، ص ١٤٧ (مرجع سابق) .
*- الوصف التعبيرى : هو الذى يصور الأشياء من خلال إحساس الكاتب بها . الوصف الفوتوغرافى : الذى يصور الأسياء كما هى .

تتجسد فى صورة المكان ، كما أن المكان يشير إلى العلاقة التاريخية بين الماضى والحاضر ، الماضى من خلال وصف المبنى لأنه قديم منذ الثلاثينيات ، والحاضر من خلال وصف الموقع الى تتم فيه مشاهدة أحداث المسرحية حين يسهم فى عملية الاتصال بين المبدع والجمهور فى مكان تمثيل الأحداث ، والتعبير عن تغير بعض القيم عند المصريين حين يقارن الكاتب بين الماضى والحاضر حين يعرض بعض الأحداث التاريخية ، واتخاذ الدافع منها إلى محاربة الزيف والفساد والاتهام بالعجزعن ملاحقته، وهكذا يمكن القول بأن " مجرد خبرة الفنان بالمكان لاتجعله قادرا على إحيائه فى كلمات ، كما أن مجرد لصق لافتة بأن هذا المكان هو القاهرة لايكفى لبث الحياة من خلال التسمية ...وهذه الصنعة لاتطابق الواقع مطابقة حرفية ، بل هى تشحن هذا الواقع شحنات مختلفة من المشاعر ، والأجواء النفسية وهى فى النهاية من صنع خيال الكاتب"([1]). ولعل هذا الخيال جعل رومان ينتقل بنا من الحاضر إلى الماضى على سبيل المحاكاة ، فقد تخلص الأسلاف من الظلم الذى لحق بهم ، وهم من أهل هذا المكان لذلك يجب على الأبناء الاحتذاء بهم ، وهنا يصبح المكان دليل ثابت يستنجد به رومان للتحرر من الظلم . ويحاول من خلال أفعال شخصياته طمس معالم المكان وتغيير الواقع بالزيف والخداع ، كما فعلت فريدة عند رومان فى مسرحية الزجاج ، والتغيير يدل على رفض الشخصيات للواقع ، ومدى تأثير الصراع الطبقى والخروج من نطاق الطبقة الوسطى والتطلع إلى الطبقة الارستقراطية ، وهذا ما وجد فى مسرحية "الزجاج "حين يلتقى البعد الزمنى مع البعد المكانى ، فالمكان تاريخه يرجع إلى الثلاثينيات فى مسرحية "الزجاج" ، والمنزل والأثاث يشيران إلى الطبقة الوسطى، علاوة على ذلك يتضح أن هناك "تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذى تقيم فيه ، والفضاء الذى تشغله يكشف الحياة اللاشعورية التى تعيشها الشخصية التى تسكن هذا البيت ، و بالتالى لايكون شىء فى البيت إلا وله دلالة

انظر د. محمد عزام : فضاء النص الروائى مقاربة بنيوية تكوينية فى أدب نبيل سليمان ، سوريا دار الحوار ط١ ١٩٩٦ ، ص ١١٥.

[1]- د. سيزا قاسم : بناء الرواية ص ١٢.

بالإنسان الذى يعيش فيه " ([1]) . ورفض الواقع والتطلع إلى عادات طبقية عندما وضعت فريدة المفارش والمزخرفة فوق المناضد فى بيتها ، فى محاولة منها لإخفاء عيوب الأثاث المتهالك .

ويشير رومان للصراع النفسى الذى تعانى منه الطبقة الارستقراطية وعدم تقبل الواقع ، ويبدو هذا الفرق جليا عند استقبال ضيوف الطبقة الارستقراطية وتتعدد الأماكن ويتغير الزمن أحيانا عندما يختلف المنظر المسرحى كتقنية حديثة عند الكاتب وملائمة المكان والزمان للحدث ، كما فعل فى مسرحية "الدخان "حيث جعل الجزء الأول من المسرحية فى البيت .ورومان يغيّر فى المكان عندما يغير المنظر أحيانا عندما ينتقل من حدث إلى حدث ؛

قد لا يتناسب الحدث الجديد مع المكان ، فى مسرحية "الزجاج"مكان الحدث فى صالة بيت من الطبقة الوسطى ، وقطع الأثاث داخل هذا البيت تشير إلى وجود تطلعات طبقية لدى بعض أفراد هذا البيت ، والمكان خال فيما عدا مكتب أيقونة المكتب قد تشير إلى وجود شخصية ثقافية ؛ لأن المكتب غالبا ما يستعمل فى القراءة والكتابة ،وربما أنه يشير إلى دور العرضحالجى الذى يأتى بعد ، ودليل ذلك أيضا وجود أيقونة تمثال المفكر فوق المنضدة وتحاول فريدة زوجة حمدى التخلص منه لتخلى المكان الذى تقابل فيه نساء من الطبقة الارستقراطية ، وبالتالى تغير معالم المكان ليتناسب مع الزوار:

فريدة : (مشيرة إلى تمثال المفكر) شيلى تمثال المفكر دا من هنا ،

دمه تقيل . هاتى الفازه اللى على التسريحة وحطى فيها شوية ورد

ياالله اتحركى (تأخذ تمثال المفكر وتخرج لحمدى بهدوء)

دلوقت أنا عاوزه الأوده دى فاضيه خالص .

وفى المشهد الثانى ورغم تغير المكان مبنى عتيق من طراز الثلاثينيات إلا أنه يتمسك بوجود المنضدتين ؛ ليهييء القارىء بأن هناك شيئا يكتب وهو الشكوى التى يكتبها حمدى ضد الفتارين أمام دار دار الأوبرا ؛ لذا لم يعد مكان المشهد الأول وهو البيت صالحا للمشهد الثانى لإشراك

[1] - د. حسن بحراوى : بنية الشكل الروائى ، ٤٤.

حمدى للجمهور فى التوقيع على الشكوى بعد توعيته بمضمونها . وفى مسرحية "الدخان" يكون المكان شقة فى حى شعبى ، ولم يتغير المكان إلا عندما يذهب حمدى إلى المقطم ليقتل رمضان تاجر المخدرات ورمز الفساد ؛ ليتناسب مع الحدث وهو إدمان حمدى للمخدرات وعجز الأسرة فى مساعدته للتخلص من هذا الإدمان، وهكذا يصبح وصف المكان مطابقا للحدث ، ويوضح الوصف ملامح المكان العامة والخاصة و يلائم المشاهدة الحسية البصرية التى تناسب الدراما المسرحية ؛ لأن الوصف الصحيح للمكان إما أن "يوصف الشىء وصفا موضوعيا حيث يقوم بتتبع كل العناصر المكونة له أو أن ينظر إلى الشىء من حيث وقعه على الناظر أو السامع فيلون الأشياء بنظر الناظر أو سمع السامع لها ومن هنا يأتى موقفان متغيران فى أسلوب الوصف ، الأول: الوصف التفصيلى ، والثانى: الوصف التصنيفى الذى يحاول تصنيف الشىء وتجسيده بكل حذافيره". ([١])؛ ليسهل للعرض المسرحى أن يهتم فى الديكور بأشياء تبرز اهتمام الكاتب بأمور لا يمكن تغافلها . ويتميز وصف المكان خارج المشهد المسرحى من مدن وشوارع ،ومنازل ومساجد وكنائس وطرق وغيرها بتقنيات فنية تشير إلى صدق الحدث الدرامى وواقعيته ومعايشة الكاتب لواقعه ، والتعبير عن مشكلات الإنسان فى المجتمع، ويعتبر إعطاء أسماء حقيقية لهذه الأماكن دليل الصدق ، ويعطى إحساسا للمشاهد بأنه يشاهد أحداثا حقيقية يمكنه التأكد من صدقها إضافة إلى تعرفه على مشكلات هذا المكان ، ووقوفه على ما يعانى منه الذين يعيشون فيه . وهناك ثلاثة أنواع من التقنيات "تقنيات تخص التقاليد المسرحية التى يتبناها جمهور ما وتقنيات مسرحية درامية تخص النوع الدرامى الذى ينتمى إليه النص وتقنيات العالم التخيلى نفسه "([٢])، والتقنية عند الكاتب تميل أكثر إلى النوع الدرامى الذى يناسب النص، وإذا كانت أيقونة التمثال تشير إلى رمز ما يتناسب مع الحدث المسرحى . وترمز إلى الثقافة فى مسرحية "الزجاج" لتتناسب مع تمثال المفكر .

[١]- سيزا قاسم : بناء الرواية ٣١١ (بتصرف يسير)
[٢]- حازم شحاتة : الفعل المسرحى : ٤٧.

والمكان لم تتوقف مهمته على كونه ذو بعد هندسى صامت ، أو حتى تشكيل جغرافى ، ولكنه البؤرة التى يركز فيها الكاتب عمله الدرامى ، كما ترتبط سمات المكان بسمات الشخصية المسرحية مما جعل رومان يعتنى بوصفه ليستوعب المشهد المسرحى ، ويرمز إلى الشخصيات والأحداث التى يتم عرضها فيما بعد ، فإذا فهم المشاهد طبيعة المكان تمكن من فهم الشخصيات والحدث ، فالفضاء المكانى إشارة لما يأتى بعد ، ويستخدم رومان تقنية أخرى فى وصف المكان ، وهى الألوان من خلال وصف المنازل وما فيها من أثاث وأدوات وملابس ومأكولات ومشروبات وأدوات زينة وغيرها من عناصر الطبيعة ، ومنها :

هـ – علاقة المكان بالمنظر المسرحى يرى أحد النقاد أن الأشياء التى توجد داخل المكان تعتبر "عنصرا حيويا من عناصر العالم الخارجى ، ويستطيع الكاتب أن يتحكم فى هذه الأشياء ، ويحاول أن يعالجها فنيا لأنها مكملة للبنية الفنية للمسرحية ، و توحى لنا بوظائف هامة فى الدلالة الفنية"[١]". وقد ميز النقاد بين مصطلحين النص الرئيسى والنص الفرعى ، فالنص الرئيس هو الحوار الذى تقوم به الشخصيات ، والنص الفرعى هو الإرشادات المسرحية التى تحدد طابع هذا الحوار ، وتمهد للحدث وتضع الإطار العام للخط الدرامى الذى يسير عليه الحدث ، وتوضح رؤية الكاتب المسرحى للعرض المسرحى فيسترشد بها المخرج ، وتجعل القارىء يقرأ النص المسرحى ويتخيله معروضا ، لذلك تراها الدراسة مكملة للبناء الدرامى ، وتقنية هامة من تقنيات العرض المسرحى ، ومن التقنيات التى ركز عليها رومان فى الديكور تقنية "اللوحات " التى جاءت فى مسرحية "الدخان" ، و"الزجاج" و"الوافد" ، و"الخطاب " ، و"الحصار " ، و "كوم الضبع" ، وفيها يهتم حمدى بالرسم ، وينشغل بعمل اللوحات وتحاول جمالات أن تفهم حمدى من خلال اللوحات التى يرسمها ، لكنها تعجز للغموض الذى يلتف حول حمدى ، وكأنه يرى فيها حرية التعبير عن نفسه بالألوان لأنه لا يستطيع مواجهة الواقع ، وبالتالى انفصل عن المجتمع وتعالى

[١] A.A . Moles "Object Communication ,UnobjectEstum Element du monde ExterieurFabrique Par L,Homme et queCelui-Ci Peat Prender et quecelui – ci Peat Prender et maniPlulers " P : 13 .

على من حوله حتى لفظوه ، كما أنه استخدم ألفاظا تعبر عن ثقافته مما أفقده القدرة على التكيف مع من حوله ، فالصراع الدرامى فى المسرحية يكون بين حمدى وأهل الحى ، فلا يمكن أن يصل إلى نقطة توافق .

وهكذا يسرى مضمون الاختلاف بين الشخصيات ؛ ليحدث نوعا من العقبات والحواجز بين الشخصيات ، والمسرحية مشاهد مختارة من الحياة اليومية ، ويحاول رومان فيها أن يركز على الجانب الاجتماعى والثقافى والفكرى والفنى ، بالإضافة إلى البيروقراطية التى أصابت الجهاز الحكومى بالدولة ، فأصبح الموظف الحكومى مجرد أداة سلبية لا تكاد تقوم بمهمتها المكلفة بها ، وكل ما يهم الموظف هو طاعة وإرضاء المدير ، لذلك فالمسرحية نقد اجتماعى تعبر عن رفض رومان للواقع وعجز أفراد المجتمع عن التغيير للتنافر الشديد بين هذه الشخصيات ، فالفنان المثقف ينظر إلى أهل الحى بأنهم أقزام بما فيهم جمالات الشخصية القريبة منه ، لذلك فتقنية اللوحات وما فيها من غموض توضح ذلك ، كما فى الحوار :

جمالات : ... ومطرح ما تمشى جمالات تبص وتشوف حاجات ،

ورسوم مش فاهماها .. فى كل مكان علامة استفهام ،

وتسكت وتسكت وتسكت ومن بعد السكوتالاختناق ،

ومن بعد الاختناق الموت أوالانفجار والرسوم تحاصرك .

وتقنية اللوحات عند رومان تعتبر عن نظرة الشخصيات للحياة ؛ نظرا لاختلاف المكان عن الزمان ، والتعبير عن الواقع ، والكشف عن الصراع الاجتماعى ، فالشخصية قد تكون ذات جذور اجتماعية وشعبية أو حضارية ، ولما كان المسرح مرآة للواقع ، فلا بد للمكان أن يعكس ما فى هذا الواقع ، ويصور ما فيه من خلال المكان إذا ما سلمنا بأن المسرحية لابد أن تقوم "على بناء هندسى موحد لا يتسع لمشاهد غريبة عن موضوعها،أو شخصيات مقحمة عليها يمكن حذفها دون أن تتأثر المسرحية"[١] . ويحاول رومان توظيف المكان توظيفا جماليا حين يضفى عليه

[١]- د. محمد مندور : الأصول الدرامية وتطورها ، مجلة المسرح ، عدد يوليو ١٩٦٤ ، ص ٩ .

ظلالا ودلالات تشير إلى الانفتاح على عالم الخيال ، وينتقل من مكان الواقع إلى مكان يشبه المكان الأسطورى ، ويجعل الانتقال من مكان إلى مكان يحدث تحولا فى الشخصية وكأنه انفتاح على عالم اللاواقع ، ورغم ذلك تستمر الشخصية فى حالة انغلاق ، و لايمكنها أن تتفاعل مع الآخرين ، ويصبح الخيال مجرد سياج يحيط بالشخصية ، فينتقل من عالم المحسوسات إلى عالم الخيال ، فى صور ولوحات تعبر عن مشكلة الإنسان ، كما فى لوحة مسرحية "الحصار" : " لوحة كبيرة واحدة تمتد من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، وهى رسم لفنان يعبر بطريقة رمزية مشوهة عن العالم الذى يعيش فيه أبطال المسرحية فى الرسم الأقمار الصناعية والسفن كونية والأحلام التى تراود المتأزمين أثناء الليل .. فيها شىء من ذلك وكل هذا إلا أنه يتحتم أن تكون شيئا مثيرا للقلق تستنفر فى الناس شيئا من الخوف وكثيرا من الإغراء "[١]".إن نقل صورة المكان من عالم الواقع إلى عالم الدراما المسرحية يتطلب تقنيات خاصة بالديكور واللغة واللوحات الفنية ، إذ يحاول الكاتب أن يخلق مكانا مستقلا له خصائصه الفنية ، وهذا يساعد على قراءة المسرحية من أولها إلى آخرها، فيتم توصيل المعانى من خلال الإرشادات المسرحية التى يضعها المؤلف وما فيها من وصف تفصيلى للأداء المسرحى وحوار الشخصية الذى تكمله الإرشادات ، ولهذا يجب قراءتها لتخللها بين النصين الأصلى والفرعى ، ويرى البعض أن " قراءة المسرحية تشبه قراءة النوتة الموسيقية ، وهى شىء لا يستطيع الكثيرون القيام به ، حيث على العين التجوال من اسم المتحدث إلى حديثه ، وهذا يتطلب انتباها شديدا ، فالجزء الأول الإيضاحى الذى يبدو غير مشوق لابد من قراءته بدقة وتخزينه بعناية فى الذاكرة ... كما أن الأحداث المدونة تصرف انتباه القارىء"[٢]" ، فيصبح الوصول إلى المعنى أمرا بعيدا ، وكما يرى "رولان بارت" أن المعنى يكون معلقا ليكتسب وضوحه مما هو فوق المعنى .

[١]- الحصار : ص ١ .
[٢]- إيجيل ثورنكيفست : الدراما خارج المسرح ، ترجمة د/ سمية مظلوم ، وزارة الثقافة ، مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى ، ٢٠٠٢ ، ص ٧ .

ولعل هذا ما يقترب من وصف رومان للمكان فى مسرحية "الوافد" فيرمز للوكاندة بالوطن فى حقبة الستينيات ، ويرمز للوافد بالمواطن الذى يقطن هذا الوطن وأصبح غريبا فيه لا يمكن تحصيل القوت ليسد جوعه إلا بعد عناء طويل ؛ لإنكار وجوده فى جملة يرددها الخادم "سيادتك معانا فى اللوكاندة؟" ، ويتم التحقيق مع الوافد لإثبات ذلك أو نفيه ، فيثبت الخادم من التحقيق أن وجوده لم ولن يكن ، والخادم يحيل الوافد إلى المسئول الذى يعرفه الوافد من أيام النضال ، ويحيل المسئول الوافد إلى الخبير الذى يبدو أنه يعرف الوافد من عهد الصمود.

وترمز المسرحية لقهر الآلة للإنسان وضعف الإنسان أمام الآلة التى تشكك فى وجوده ، و بالتالى فالثبات على المبدأ أو اعتناق فكرة الحرية ، أو المطالبة بالاشتراكية أو الديمقراطية ، كل ذلك وغيره قد يهدد وجود الإنسان فى المكان الذى يصعب فيه التفاعل بين أصحاب المبادىء والآخرين الذين يسيرون كالآلة الصماء.

ويساهم وصف المكان فى بداية المسرحية فى خلق المناخ العام لها ، كما أنها مفسرة وموحية لجو المسرحية ، فالكاتب يحاول تهيئة المتلقى للحدث الدرامى بالإشارة ضمنا عند وصف المكان ؛ لأن المسرحية لايمكن أن تصف مباشرة الأشخاص والأماكن والأصوات والمناظر ، وإنما بمقدور المؤلف المسرحى ألا يعلق على المواقف .